Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكنه فى حيرة من أمره، يُعنيه أن يستوعب السر الأعظم الذى تجلى له، ويأخذه من جلاله ما يشبه الدوار، فيكاد لفرط دهشته وعجبه وانبهاره، لا يدرى ما إذا كان فى وعى يقظته، أم تلك رؤيا بصيرة أرهفها طول التأمل فى آيات القدرة، وطول التطلع إلى اجتلاء سر هذا الكون وخالقه؟

وأحس وطأة العبء الثقيل تجهده وترهقه، فما بلغ بيته حتى بدا مكدودًا مرتعدًا شاحبًا، كأنه عائد من سفر شاق طويل...

ولمحها هناك فى انتظاره: «خديجة» التى كانت له على مدى خمس عشرة سنة زوجًا وأمًّا، وكانت له منذ تزوجها ملاذًا وسكنًا...

ودون تفكير أو تردد، ألفى نفسه يفضى إليها بما رأى وما سمع، وهو يمعن النظر فى ملامحها إذ تصغى إليه بسمعها وقلبها، محاولاً أن يستبين وقع هذا الأمر على أقرب أهله إليه، وأعزهم عليه، وأصفاهم له ودًا وأرشدهم نصحًا ورأيًا...

وقالتها على الفور، بصدق اليقين والثقة:

«الله يرعانا يا أبا القاسم. أبشِرْ يا ابنَ عمِّ وانبُتْ، فوالذى نفسُ خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبىَّ هذه الأمة. واللّهِ لا يخزيك اللّهُ أبدًا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق».

فنفذ صوتها الواثق إلى قلبه، وأحس راحة الأمن والطمأنينة، وزوجه تقوده فى رفق وحنو إلى مضجعه فتدثره وتبقى إلى جانبه رانية إليه حانية عليه حتى ينام...

* * *

«نبىّ هذه الأمة»؟!

ما الذى ألقى إلى بال «السيدة خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية». بتلك الكلمة الكبرى، حين كانت الوثنية غاشية، والعرب قبائل شتى والناس طوائف وأممًا متناحرة متناكرة؟

أهى من تعبير التاريخ الإسلامى عن إدراك أم المؤمنين الأولى لجلال الأمر وبُعد نظرها لما بعده، بمجرد أن سمعت زوجها المصطفى ﷺ يحدثها عن أول الوحى؟

أم كانت الكلمة تعبيرًا عن واقع - لم يكن قد انجلى بعدُ تمامًا فى تلك الليلة من رمضان - يمثل موقف زوج المصطفى الأولى، فى ضوء الواقع التاريخى بعد ليلة القدر؟